وهو ما تضمن سلب هذا الكمال - اذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ، وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود . وأما الامور العدمية ، فالممكن المحدث بها أحق ، ونحو ذلك ، ومثل هذه الطرق ،هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب ، كما استعمل نحوها الامام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة الاسلام ، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين في التوحيد والصفات والمعاد،ونحو ذلك . أفاده شيخ الاسلام في كتاب العقل والنقل .

والله ربي لم يزل متكلماً وكلامه المسموع بالآذان

صدقاً وعدلاً أحكمت كلماته طلباً واخباراً بلا نقصان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في إثبات صفة الكلام ، وقد ذهب جمهور أهل الحديث وأئمتهم إلى أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الالهية ، وهو كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ، ليس ببائن (ولا) مخلوق،ولا يقولون :إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا إن كلام الله من حيث هو هو حادث ، بل مازال متكلماً إذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لا ينفد ، كما قال تعالى :(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) الكهف : ١٠٩ الآية . ويقولون بما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ، ودلت عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن الله سبحانه وتعالى صفات الكمال ، ويجعلونه كالجمادات التي لاتتكلم ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، فلا تكلم عابديها ، ولاتهديهم سبيلا ، ولا ترجع اليهم قولاً ، ولاتملك لهم ضراً ولا نفعاً ، ومن

جعل كلام الله لايقوم الا بغيره ، كان المتصف به هو ذلك الغير ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (انني انا الله) طه : ١٤ ولهـــذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك ، وقالوا : هذا نظير قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) النازعات : ٢٤ أي : هذا كلام قائم بغير الله ، وهذا كلام قائم بغير الله ، وأهل هذا القول الموافقون للسلف لايقولون : إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الأزل ، وإنه كان عاجزاً عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل ، والذين يقولون : إن القرآن مخلوق ، يجعلون الكلام لغيره ، فيسلبونه صفات الكمال ، ويقولون : إنه لايقدر على الكلام في الأزل لا على كلام مخلوق ولاغيره ، وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام ، فهو لازم لقولهم .

قوله : وكلامه المسموع بالآذان . أي : إن كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام ، وكما سمع موسى عليه السلام.

قال النّاظم رحمه الله تعالى :

ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـــ ... ـإشراك وهو معلم الإيمـــان

بل عاذ بالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العـــالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

لكن أصوات العباد وفعلهم كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلا م كلام رب العرش ذي الاحسان
هذا اذا ما كان ثم وساطة كقراءة المخلوق للقرآن
فاذا انتفت تلك الوساطة مثلما قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع لا شيء من المسموع فافهم ذان
هذي مقالة أحمد ومحمد[1] وخصومهم من بعد طائفتان
إحداهما زعمت بأن كلامه خلق له ألفاظه ومعان
والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشطر قام بالرحمن
زعموا القران عبارة وحكاية قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي نتلوه مخلوق كما قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم بالنفس لم يسمع من الديان
والأمر عين النهي واستفهامه هو عين اخبار وذو وحدان
وهو الزبور وعين توراة وإن جيل وعين الذكر والفرقان
الكل شيء واحد في نفسه لا يقبل التبعيض في الاذهان
ما إن له كل ولا بعض ولا حرف ولا عربي ولا عبراني
ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

(١) اي محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح ».

ياقوم قد غلط النصارى قبل في ... معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم ... إذ قيل كلمة خالق رحمان

ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا ... هوتا قديماً بعد متحدان

ونظير هذا من يقول كلامه ... معنى قديم غير ذي حدثان

والشطر مخلوق وتلك حروفه ... ناسوته لكن هما غيران

فانظر الى ذا الاتفاق فانه ... عجب وطالع سنة الرحمن

وتكايست أخرى وقالت إن ذا ... قول محال وهو خمس معان

تلك التي ذكرت ومعنى جامع ... لجميعها كالأس للبنيان

فيكون أنواعاً وعند نظيرهم ... أوصافه وهما فمتفقان

إن الذي جاء الرسول به لخ ... لموق ولم يسمع من الديان

والخلف بينهم فقيل محمد ... أنشاه تعبيراً عن القرآن

والآخرون أبوا وقالوا إنما ... جبريل أنشاه عن المنان

وتكايست أخرى وقالت إنه ... نقل من اللوح الرفيع الشان

فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد ... أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان

هذي مقالات لهم فانظر ترى ... في كتبهم يا من له عينان

لكن أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلغه عن الرحمن

ألقاه مسموعاً له من ربه للصادق المصدوق بالبرهان

قوله : ورسوله قد عاذ بالكلمات الخ .. أقول : احتج الامام أحمد وغيره ، على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله في غير حديث . فقال : « أعوذ بكلمات الله التامة » ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة » وذكر الحديث :وفي« صحيح مسلم » عن خوله بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء ، حتى يرحل من منزله ذلك » . وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق » وذكر الحديث ،وذلك في أحاديث أخر . قال أحمد وغيره : ولا يجوز أن يقال : أعيذك بالسماء ، أوبالجبال ، أوبالانبياء ، أو بالملائكة ، أوبالعرش ، أو بالأرض ، أوبشيء مما خلق الله ، ولا يتعوذ إلا بالله ، أو بكلماته . قال البيهقي : ولا يصح أن يستعيذ من مخلوق بمخلوق ، فدل على أنه استعاذ بصفة من صفات ذاته ، وذاته غير مخلوقة . ثم قال : وبلغني عن أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

وقول الناظم : هو قول ربي كله لا بعضه الخ . هذا إشارة إلى قول أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، ومن اتبعه ، كالقلانسي ، وابي الحسن الأشعري ، وغيرهم . إن كلام الله معنى قائم بذات الله ، هو الأمر بكل مأمور أمر به ، والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا . والأمر والنهي والخبر ليست أنواعاً له ينقسم الكلام إليها ، وانما

كلها صفات له اضافية ، كما يوصف الشخص الواحد بانه ابن لزيد ، وعم لعمرو ، وخال لبكر ، والقائلون بهذا القول موافقون للمعتزلة ، في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا ، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وأن المعتزلة يقولون : إن المخلوق كلام الله ، والأشعرية لا يقولون : إنه كلام الله ، نعم يسمونه كلام الله مجازاً ، هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم : لفظ الكلام يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا ، وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن هذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به ، وهم مع هذا لا يقولون : إن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم : إن كلامه حقيقه ، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله ، وهو كلامه حقيقة .

قال شيخ الاسلام : وهذا شر من قول المعتزلة ، وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه ، فقول المعتزلة أقرب . قال : وقول الآخرين وهو قول الجهمية المحضة ؛ لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء ، وإنما ينازعونهم في اللفظ الثاني : إن هؤلاء يقولون : كلام الله هو معنى قديم قائم بذاته ، والخلقية يقولون : لا يقوم بذاته كلام ، ومن هذا الوجه ، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر ، لكن جمهور المحققين من علماء السلف يقولون : إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق ؛ لأنهم يقولون عن الكلام النفسي : إنه معنى واحد ؛ هو الأمر والنهي ؛ والخبر ان عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وان عبر عنه بالعبرية

كان توراة ، وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا ، وجمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ، فانا إذا عربنا التوراة والانجيل ، لم يكن معناهما معنى القرآن ، بل معاني هذا ليست معاني هذا وكذلك (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبي لهب) ولا معنى (آية الكرسي) آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ، فجوزوا أن يكون العلم ، والقدرة ، الكلام ، والسمع ، والبصر صفة واحدة ، فالتزم أئمة هذا القول ، بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ، ثم منهم من قال : الناس في الصفات ، إما مثبت لها ، واما ناف لها ، وأما إثباتها واتحادها ، فخلاف الاجماع ، وممن اعترف بأن ليس له جواب أبو الحسن الآمدي .

وقول الناظم : لكن أصوات العباد وفعلهم الخ . أي : إن مذهب أئمة أهل الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والسلف والأئمة متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والقرآن بلغه جبريل عن الله الى محمد ، وبلغه محمد الى الخلق ، والكلام المبلغ عن قائله لايخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلغه عنه مؤدياً ، فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى »[1] وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد ، حتى وصل إلينا ، كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به ، إنما سمعنا كلام رسول الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وانما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته ، ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نسمعه ، وانما سمعنا صوت المحدث عنه ، والكلام كلام رسول الله ﷺ ، لا كلام المحدث ، فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ﷺ . كان مفترياً ، و كذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله ﷺ . وانما أحدثه في غيره ، وإن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه ، بل كان ساكتاً أو عاجزاً عن التكلم بذلك ، فعلم غيره مافي نفسه ، فنظم هذه الألفاظ ليعبر عما في نفس النبي ﷺ ، أو نحو هذا الكلام ، فمن قال هذا ، كان مفترياً . ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي ﷺ ، كان مفترياً ، فاذا كان هذا معقولاً في كلام المخلوق ، فكلام الخالق أولى باثبات مايستحقه من صفات الكمال . وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله ، هي صفات العباد وأفعالهم ، أو مثل صفات العباد وأفعالهم ، فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله ، كما قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ ليس هو كلاماً لغيره ، لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عنه جبريل ، وبلغه محمد عن جبريل ، ولهذا أضافه الله الى كل من الرسولين ، لأنه بلغه وأداه ، لا لأنه أحدث لالفظه ولا معناه ، إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك ، لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر ، فقال تعالى (انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلًا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلًا ماتذكرون) الحاقة ٤٠ - ٤٢ فهذا محمد ﷺ . وقال تعالى (انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) التكوير ١٩ - ٢١ فهذا جبريل عليه السلام . وقد توعد تعالى من قال (إن هذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ (ومن) قال : إن هذا القرآن قول البشر ، فقد كفر ؛ وقال

بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر . ومن قال : إن شيئاً منه فوق البشر فقد قال ببعض قوله . ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم ؛ وانما هو قول شاعر ، أو مجنون ، أو مفتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ، ونحو ذلك ، فهو أيضاً كافر ملعون . وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه ، أو من المبلغ عنه ، وان موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة . وانا نحن انما نسمع كلام الله من المبلغين عنه ، واذا كان الفرق ثابتاً بين من سمع كلام النبي ﷺ منه ، ومن سمعه من الصاحب المبلغ عنه ، فالفرق هنا أولى ، لأن أفعال المخلوق وصفاته ، أشبه بافعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته ، بأفعال الله وصفاته .

قوله : وخصومهم من بعد طائفتان .

إحداهما زعمت بأن كلامه خلق له ألفاظه ومعان

أقول : هذا مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقد تقدم حكاية كلامهم في الكلام بما أغنى عن إعادته .

قولـــه :

والآخرون أبوا وقالوا شطره خلق وشطر قـام بالرحمـــن

هذا قول الاشعرية والكلابية ، كما سيأتي الكلام على ذلك .

قوله : زعموا القرآن عبارة الخ . أي : قالت الأشاعرة : إن القرآن عبارة عن المعنى ، وابن كلاب ومن تابعه قالوا : حكاية .

قوله :

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

أي : ودليلهم على إثبات الكلام النفسي قول الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : إنهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه ، وهذا يروى عن أبي محمد بن الخشاب . قال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد . ومن العجب انه لو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بالاسناد لا واحد ولا اكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام ؟! ويقال أيضاً : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر ، فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كما عرفوا مسمى الرأس ، واليد ، والرجل . وأيضاً ، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه من الحدود ، فان أهل اللغة الناطقين لايقول أحد منهم : إن الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا ، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف لغتهم من استعمالهم ، فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد إن كان قال ذلك ، ما فسر به المفسرون للشعر . أي : أصل الكلام من الفؤاد ، هو المعنى ، فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا تثق به ، وهذا كالاقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ، وذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال الأخطل قبل ذلك .

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه في الأصل ، ولهذا . قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا .

وقوله : مع الكلام . دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله مع الكلام ، مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه ، والمقصود به : واللسان دليل على ذلك ، وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر ، فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ، ليس من الشعراء القدماء ، وهو نصراني كافر مثلث ، واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام ، وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه ، هو نفس كلمة الله ، ولهذا قال الناظم :

ياقوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان

قال شيخ الاسلام : في « التسعينية » بعد كلام سبق : وأيضاً فهم - يعني الاشاعرة - في لفظ القرآن الذي حروفه واشتماله على المعنى لهم مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي (هو) متدرع الاهوت ، فان هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بل هي مخلوقة ؛ كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزله بهذه الحروف المخلوقة ، فمنهم من يسمي الحروف كلام الله حقيقة ، كما يسمى المعنى كلام الله حقيقة ، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى ، منهم من

يجعل لاهوتاً حقيقة لاتحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ودعاؤه . ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت ، وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد ، وهو محله بطريق الحلول ، فعظم لذلك ، وهؤلاء يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ، ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا تكلم بها ، بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها ؛ فأظهر بها المعنى القديم ، ودل بها عليه ، فاستحقت الاكرام والتحريم لذلك حيث تدخل في حكمه ، بحيث لا يفصل بينهما ؛ أو يفصل بأن يقال : هذا مظهر هذا ودليله ؛ وجعلوا ماليس هو كلام الله ؛ ولا تكلم الله به قط ؛ كلاماً لله معظماً تعظيم كلام الله ، كما جعلت الناسوت ـ الذي ليس بالله قط ، ولا هو الكلمة ـ إلهاً وعظموه تعظيم الاله الذي هو كلمة الله عنده .

ومنها أن النصارى على ماحكى عنهم المتكلمون ، كابن الباقلاني أو غيره ، ينفون الصفات ، ويقولون إن الأقانيم التي هي الوجود ، والحياة ، والعلم ، هي خواص ، هي صفات نفسية للجوهر ، ليست صفات زائدة على الذات ، ويقولون : إن الكلمة هي العلم ، ليست هي كلام الله : فان كلامه صفة فعل ، وهو مخلوق ، فقولهم في هذا كقول نفاة الصفات من الجهمية المعتزلة وغيرهم ، وهذا يكون قول بعضهم ممن خاطبه متكلمو الجهمية من النسطورية وغيرهم ، وممن تفلسف منهم على مذهب نفاة الصفات من المتفلسفة ونحو هؤلاء ، وإلا فلا ريب أن في النصارى مثبتة للصفات ، بل غالية في ذلك . كما أن اليهود أيضاً فيهم المثبتة والنفاة ، والمقصود هنا أن تسميتهم للعلم كلمة دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك العلم ليس هو أمراً معقولاً كما نعقل الصفات القائمة بالموصوف ، ضاهاهم في ذلك هؤلاء

الذين يقولون : الكلام هو ذلك المعنى القائم بالنفس دون الكلام الذي هو الكلام ، ثم ذلك المعنى ليس هو المعقول من معاني الكلام . فحرفوا اسم الكلام ومعناه ، كما حرفت النصارى اسم الكلمة ومعناها . انتهى كلامه .

قولـــه :

وتكايست اخرى وقالت إن ذا قول محال وهو خمس معان

تـكايست . قال في « القاموس » . الكيس خلاف الحمق ، والجماع ، والطب ، والجود ، والعقل ، والغلبة بالكياسة ، وقد كاسه يكيسه ، ثم قال بعد ذلك تكيس تظرف ، وكايسه غالبه في الكيس . قال الآمدي في في « ابكار الافكار » فان قيل : إذا قلتم : إن الكلام قضية واحدة ، وان اختلاف العبارات عنها بسبب المتعلقات الخارجة ، فلم لم تجوزوا أن تكون[1] الارادة ، والعلم ، والقدرة ، وباقي الصفات راجعة الى معنى واحـــد ؟ ويكون اختلاف التعبيرات عنـــه بسبب المتعلقات ، لا بسبب اختلافه في ذاته ، وذلك بأن يسمى ارادة عند تعلقه بالتخصيص ، وقـدرة عند تعلقه بالايجاد ، وهكذا سائر الصفات ، وان جاز ذلك ، فلم لايجوز أن يعود ذلك كله إلى نفس الذات ، من غـــير احتياج الى الصفات .؟ وقـــال : أجاب الأصحاب عن ذلك بأنه يمتنع أن يكون الاختلاف بين القدرة والارادة بسبب التعليقات والمتعلقات ، اذ القدرة معنى من شأنه تأتي الايجاد به ، والارادة معنى من شأنه تأتي التخصيص الحادث بحـــال دون حال ، وعند اختلاف التأثيرات ، لابد من الاختلاف في نفس المؤثر ، وهذا بخـــلاف الكلام ؛ فان تعلقاته بمتعلقاته لا يوجب أثراً ، فضلاً عن كونه مختلفاً . قال : وفيه نظر ، وذلك أنه وان سلم اقناع صدور الآثار المختلفة عن المؤثر الواحد مع امكان النزاع فيه ؛ فهو موجب للاختلاف في نفس القـــدرة : وذلك

(١) في الاصل : فلم لا جوّزتم ان يكون .

لأن القدرة مؤثرة في الوجود ؛ والوجود عند أصحابنا نفس الذات ؛ لا أنه زائد عليها ؛ وإلا كانت الذوات ثابتة في العدم ؛ وذلك مما لا نقول به . وإذا كان الوجود هو نفس الذات ؛ فالذوات مختلفة ؛ فتأثير القدرة في آثار مختلفة ، فيلزم أن تكون مختلفة كما قرروه ؛ وليس كذلك ، وأيضاً فان ماذكروه من الفرق وإن استمر في القدرة والارادة، فغير مستمر في باقي الصفات؛ كالعلم ؛ والحياة ، والسمع ، والبصر ؛ لعدم كونها مؤثرة في اثر ما. قال : والحق أن ماأوردوه من الاشكال على القول باتحاد الكلام ، وعود الاختلاف الى التعلقات والمتعلقات ؛ مشكل ؛ وعسى أن يكون عند غيري حله ؛ ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا الى القول بأن كلام الله القائم بذاته ؛ خمس صفات مختلفة ؛ وهي الأمر ؛ والنهي والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء انتهى كلامه .

قلت : وهذا الذي ذكره الآمدي هو الذي أراده الناظم بقوله : وتكايست أخرى الخ . فيكون الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ، والاستخبار ؛ والنداء صفات للمعنى النفسي على ماذكره الآمدي عن هؤلاء . والصواب أن الأمر ؛ والنهي ؛ والخبر ؛ والاستخبار ؛ والنداء ؛ أنواع للكلام ؛ والله أعلم .

قوله :

وتكايست أخرى وقالت إنه نقل من اللوح الرفيع الشان

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن منزل ؛ واختلفوا في معنى الانزال ؛ فمنهم من قال : إظهار القراءة ؛ ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال عن

المكان ؛ وعلمه قراءته ، ثم جبريل أداه في الارض وهو يهبط في المكان .

وفي التنزيل طريقان :

أحدهما : أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل .

والثاني : أن الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ؛ والاول أصعب الحالين . انتهى .

وقال القطب الرازي في حواشي « الكشاف » الانزال لغة : بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو الى اسفل ؛ وكلاهما لا يتحققان في الكلام ؛ فهو مستعمل فيه في معنى مجازي ؛ فمن قال . القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ؛ فانزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ؛ ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ؛ فانزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ ؛ وهذا المعنى مناسب ؛ لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين ؛ ويمكن أن يكون المراد بانزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ ؛ وهذا مناسب للمعنى الثاني . والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم . انتهى . وذكر بعضهم ان أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جبل قاف ؛ وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله . انتهى . وقال بعضهم : في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال :

أحدها أنه اللفظ والمعنى ؛ وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

والثاني أن جبريل انما نزل بالمعاني خاصة ؛ وأنه ﷺ علم تلك المعاني

وعبر عنها بلغة العرب ؛ وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : (نزل به الروح الامين على قلبك) الشعراء : ١٩٣

والثالث : أن جبريل ألقى اليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . انتهى .

ولما أشار الناظم الى هذه الاقوال التي ماأنزل الله بها من سلطان ، فاسب أن نذكرها ليعلم حقيقة حالها ، ويتحقق بطلانها ، والله أعلم .

قوله :

لكن أهل الحق قالوا إنما جبريل بلغه عن الرحمن

أقول : قال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول » وذكر اثنا عشر إماماً ، وهم الشافعي ، ومالك ، والثوري ، وأحمد ، والبخاري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، واسحق بن راهويه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم : سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الاسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق ، فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله تعالى ، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ومنقوشاً ، وكل حرف منه كالباء والتاء ، كله كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق ، فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وإذا أردت مجامع الطرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن

فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هماله ركنان

هل قوله بمشيئة أم لا وهل ... في ذاته أم خارج هذان

أصل اختلاف جميع أهل الأرض في ال ... قرآن فاطلب مقتضى البرهان

ثم الالى قالوا بغير مشيئة ... وإرادة منه فطائفتان

احداهما جعلته معنى قائماً ... بالنفس او قالوا بخمس معان

والله أحدث هذه الالفاظ كي ... تبديه معقولاً الى الاذهان

وكذاك قالوا انها ليست هي القرآن بل مخلوقة دلت على القرآن

ولربما سمي بها القرآن تسمية ال ... مجاز وذاك وضع ثان

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية ... عنه وقيل عبارة لبيان

اذ كان ما يحكى كمحكي وهذا اللفظ والمعنى فمختلفان

ولذا يقال حكى الحديث بعينه ... اذ كان أوله نظير الثاني

فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان

والآخرون يرون هذا البحث لفـــظيان ومافيه كبير معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن العظيم ، وذكر أن اختلافهم يدور على أصلين ، وهما هـــل قوله بمشيئة وارادة ، أم هو بغير مشيئة وارادة ، وهل كلامه تعـالى في ذاته ، أم هو خارج الذات ؟ وذكر أن القائلين بأنه بغير مشيئة وارادة طائفتان . إحداهما : الكلابية والاشاعرة ، والطائفـــة الثانية ، الاقترانية ، وهم السالمية أتباع ابي الحسن بن سالم ، وهذا هو البناء الأصيل ، والبرهان الذي يقوم عليه الدليل ، لا ما ذكره الدواني في معنى اختـــلاف الناس في القرآن من الكلام الجزاف ،والهذيان الذي بطلانه عير خاف ، وذلك أنه قال في شرحه «العقائد العضدية» :لاخلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلماً أي : موصوفاً بهذه الصفة ، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه ، هل هو نفسي أو لفظي ؟ وحدوثه وقدمه ، وذلك أنهم لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة وهما كلام الله تعالى صفةله، وكل ماهو صفة لهفهو قديم ،فكلام الله تعالى قديم، وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود ،وكل ماهو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث ، اضطروا الى القدح في أحد القياسين ضرورة امتناع حقية النقيضين ، فمنع كل طائفة بعض المقدمات ، فالحنابلة ذهبوا الى أن كلام الله تعالى حروف واصوات ، وهي قديمـــة ، ومنعوا أن كل ماهو مؤلف من حروف واصوات مترتبة ، فهو حادث ، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف . قال : قلت : مابالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟ قال : وقيل إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام

اللفظي رعاية الأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي كما قال بعض الأشاعرة : إن كلامه تعالى ليس قائماً بلسان أو قلب ، ولا حالاً في مصحف أو لوح ، ومنع اطلاق القول بحدوث كلامه ، وان كان المراد هو اللفظي رعاية للادب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم الى حدوث الكلام الأزلي . والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ؛ وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره ؛ ومعنى كونه متكلماً عندهم أنه موجد لتلك الحروف والأصوات في الجسم ؛ كاللوح المحفوظ ؛ أو كجبريل ؛ أو النبي ﷺ ؛ أو غيرها ؛ كشجرة موسى عليه السلام ، فهم منعوا أن المؤلف من الحروف والأصوات صفة لله تعالى قديمة .

والكرامية لما رأوا أن مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة أشنع من مخالفة الدليل ، وأن ما التزمه المعتزلة من كون كلامه تعالى صفة لغيره ، وأن معنى كونه متكلماً ، كونه خالقاً للكلام في الغير ، مخالف للعرف واللغة ، ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له ، مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى ، فهم منعوا أن كل ما هو صفة له فهو قديم ، والأشاعرة قالوا: كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى ، قديم ، فهم منعوا أن كلامه تعالى مؤلف من الحروف والأصوات . ولا نزاع بين الشيخ [1] والمعتزلة في حدوث الكلام اللفظي ، وإنما نزاعهم في إثبات الكلام النفسي وعدمه ، وذهب المصنف إلى أن مذهب الشيخ يعني الأشعري أن الألفاظ أيضاً قديمة ، وأفرد في ذلك مقالة ذكر فيها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وأخرى على القائم بالغير ، فالشيخ لما قال: هو المعنى

---

(١) اي الاشعري .

النفسي ، فهم الأصحاب منه أن مراده به مدلول اللفظ وهو القديم عنده ، وأما العبارات ، فإنما سميت كلاماً مجازاً ، لدلالتها على ما هو الكلام الحقيقي ، حتى صرحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه ، ولكنها ليست كلاماً له تعالى حقيقة ، إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطنين في الأحكام الدينية ، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني ، فيكون الكلام النفسي عنده أمراً شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، قائماً بذات الله تعالى . انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهي مثل بيت العنكبوت ، وأحسن منه البكم والسكوت ، وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها :

الأول : قوله : إن الناس لما رأوا قياسين متعارضي النتيجة الخ . يقال : أكثر أهل الاسلام لم يرفعوا بالمنطق رأساً ، ولم يراعوا هذه القواعد ، وإذا شئت أن تعرف ذلك ، فانظر الى ردود متكلمي أهل الاسلام على المنطق ، وبيان فساده وتناقضه . كأبي سعيد السيرافي النحوي ، والقاضي أبي بكر ابن الطيب ، والقاضي عبد الجبار المعتزلي ، والجبائي وابنه ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي القاسم الأنصاري ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، فإن له في نقضه كتابين ، صغير و كبير ، وبالله العجب ؟! أترى المعتزلة والكلابيه والكراميه ، أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق ، فضلاً عن السلف وأتباعهم ؟ ! هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق ، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم .

الثاني : قوله : بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف ، ثم تهكم بقوله : ما لهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد ؟ !

أقول . انظر إلى هذا الكذب المجرد ، فبالله قل لي . من قال هذا القول منهم ، وفي أي كتاب يوجد من كتبهم ؟ ونحو مما حكاه الدواني

ماذكره أبو المعالي الجويني قال : وذهب الحشوية المنتمون الى الظاهر الى أن كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات . وقطعوا بأن المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاع منهم القول بأن المسموع صوت الله تعالى عن قولهم ، وهذا قياس جهالاتهم ، ثم قالوا : اذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلمات ، فهي بأعيانها كلام الله القديم ، فقد كان اذ كان جسماً حادثاً ، ثم انقلب قديماً ، ثم قضوا بأن المرئي من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وصوت ، وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى ، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات . انتهى كلامه .

قال شيخ الاسلام بعد أن حكى هذا الكلام عن أبي المعالي : ومعلوم أن هذا القول لايقوله عاقل يتصور مايقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ، ولا سمعناه من أحد منهم ، فما سمعنا من أحد ، ولا رأينا في كتاب أحد ، أن المداد الحادث انقلب قديماً ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ، ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم الى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يقول الكذب ، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين ، ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ، ولوازم آخر ، الى آخر ما ذكره ، وأقبح من ذلك قوله ، أي : الدواني . وقيل : إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب ، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام

النفسي ، فيا لله العجب من هذا الاعتذار البارد ! فان الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي ، بل ينفونه أشد النفي ، ويرونه من أعظم الباطل ، والكلام عندهم اسم اللفظ والمعنى جميعاً ، كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم . ويسأل هذا المتحذلق ، هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى ؟ اللهم إلا كلام المجانين ، أو اللفظ المهمل ، فهو لا يسمى كلاماً ، إذ ليس له معنى ، وهذا معنى قول النحاة : الكلام لفظ مفيد ، فانه لا يفيد حتى يكون له معنى .

الثالث . قوله : والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة الخ .. يقال : إن كان مخالفة الضرورة ضاراً ، فأصحابك الاشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي ، فالتزموا أن الساكت متكلم والأخرس متكلم ، وغير ذلك من الشناعات .

الرابع . قوله : والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه ، وأنه مؤلف من أصوات وحروف ، وهو قائم بغيره الخ .

يقال : هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة ، فانهم قضوا بحدوث الحروف ، وأنها مخلوقة ، وصرحوا بأنها إنشاء جبريل ، أو إنشاء محمد ﷺ ، أو أنها خلقت في محل آخر ؛ كاللوح المحفوظ ، والشجرة ، أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا إن محمداً ﷺ أنشأه ، هو قول من قال : (إن هذا إلا قول البشر) المدثر : ٢٥ ثم اصحابك أثبتوا شيئاً لا دليل على ثبوته ؛ وهو المعنى النفسي ؛ وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعاً ، فان الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعاً ؛ وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل ؛ وإنه غير قائم بالله تعالى ؛ وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلى لمن قام به الكلام ؛ ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام ؛

وقالوا : الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك ؛ فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ؛ ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة ؛ إذ الألفاظ عندهم مخلوقة ، كما هو قولكم ؛ والمعنى الذي أثبتموه وخالفتم به جميع فرق الأمة ؛ هو شيء لاحقيقة له ؛ وليس بأيديكم إلا بيت الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد الخ ...

وهذا البيت لم ينقل عن قائله باسناد لا واحد ولا أكثر ؛ ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في « الصحيحين » لم تقبلوه ، وقلتم : هذه أخبار آحاد .

الخامس : أن أصحابك خالفوا فرق الأمة في إثبات هذا المعنى ، والأمر كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي ، قال : إن الأشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه ، وسماه عبارة ، وسلب الفكر والروية اسمها ، وسماهما كلاماً .

السادس : قولك : الأشاعرة قالوا : كلامه تعالى معنى واحد بسيط ، ثم نقلت عن صاحب « المواقف » أنه أفرد لذلك مقالة ، حمل فيها كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري لما قال : هو المعنى النفسي ، أن ذلك يكون شاملاً للفظ والمعنى جميعاً ، ثم سكت عن إنكاره ، فكيف كان في الأول بسيطاً ، ثم صار مركباً من المعنى واللفظ ؟ !

السابع : أن تلميذك عفيف الدين الأيجي ، قدرد مذهب أصحابك ، وقدح فيه غاية القدح ، فقال ما حاصله : إن هذا الذي تدعيه الأشاعرة من أن الكلام معنى آخر يسمى النفسي باطل ، فاذا قلنا : زيد قائم ، فهناك أربعة أشياء : الأول : العبارة الصادرة عنه ، والثاني : مدلول هذه العبارة ، وما وضعت له هذه الألفاظ من المعاني المقصودة بها . الثالث : علمه بثبوت تلك

النسبة وانتفائها . الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفاؤها بالواقع ، والأخيران ليسا كلاماً اتفاقاً ، والأول لا يمكن أن يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم فبقي الثاني ، وكذا نقول : في الأمر والنهي هاهنا ثلاثة أمور : الأول : الارادة والكراهة الحقيقية . الثاني : اللفظ الصادر عنه . الثالث : مفهوم لفظه ومعناه ، والأول ليس كلاماً اتفاقاً ، والثاني كذلك على مذهبهم ، فبقي الثالث ، وبه صرح اكثر محققيهم ، وكونه كلاماً نفسياً ثابتاً لله ، تعالى شأنه ، محكوماً عليه بأحكام مختلفة ، باطل من وجوه : الأول : أنه مخالف للعرف واللغة ، فان الكلام فيهما ليس إلا المركب من الحروف الثاني : أنه لا يوافق الشرع ، إذ قد ورد فيما لا يحصى كتاباً وسنة ، أن الله تعالى ينادي عباده ، ولا ريب أن النداء لا يكون إلا بصوت ، بل قد صرح به في الأخبار الصحيحة وباب المجاز - وإن لم يغلق بعد ، إلا إن حمل ما يزيد على نحو مائة ألف من الصرائح على خلاف معناها - مما لا يقبله العقل السليم . الثالث : أن ما قالوه من كون هذا المعنى النفسي واحداً يخالف العقل ، فانه لا شك أن مدلول اللفظ في الأمر يخالف مدلوله في النهي ، ومدلول الخبر يخالف مدلول الإنشاء ، بل مدلول أمر مخصوص غير مدلول أمر آخر ، وكذا في الخبر ، ولا يرتاب عاقل أن مدلول اللفظ لا يمكن أن يكون غير القرآن وسائر الكتب السماوية ، فيلزم أن يكون كل واحد مشتملاً على ما اشتمل عليه الآخر ، وليس كذلك ، وكيف يكون معنى واحد خبراً وإنشاء محتملاً للتصديق والتكذيب وغير محتمل ؟! وهو جمع بين النفي والاثبات . انتهى كلامه

الثامن : قوله : إن الكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة . يقال :

كلا ليس هذا مأخذ الكرامية ، وإنما مأخذهم في ذلك أنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل ، فلهذا جعلوا لكلام الله تعالى أولاً ، كما جعلوا لفعله أولاً ، خوفاً من القول بالتسلسل ، فيسد ذلك عليهم اثبات الباري سبحانه ، وكلامه كفعاله ، الكل عندهم له بداية ، فوضح بطلان كلام الدواني من كل وجه .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

ولربما سمي بها القرآن تسمية المجـــاز وذاك وضع ثان

أي : إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الحروف بعد اتفاقهم ، على أنها مخلوقة ، هل تسمى كلام الله مجازاً ، أو يطلق الكلام عليها ؟ وعلى المعنى بالاشتراك . وقد تقدم أن القول بالاشتراك يهدم مذهبهم ، لأنهم ألزموا المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به الكلام ؛ فاذا كان كلام الله يطلق على المعنى وعلى الألفاظ بالاشتراك ؛ لزمهم مذهب المعتزلة . وقوله : وكذلك اختلفوا فقيل : حكاية عنه ؛ وقيل عبارة لبيان ؛ أي : إن القائلين بالكلام النفسي اختلفوا في الألفاظ الحادثة على مذهبهم ؛ هل يقال : هي حكاية عن المعنى القديم ؛ كما قاله ابن كلاب ؛ أو يقال : عبارة ؛ كما قال الاشعري ؟ فابن كلاب قال : الحرف حكاية عن كلام الله ؛ وليست من كلام الله ؛ لأن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم ؛ والله يمتنع أن يقوم به حروف وأصوات ؛ فوافق الجهمية والمعتزلة في هذا النفي ؛ فجاء الأشعري بعده ؛ وهو موافق لابن كلاب على عامة أصوله ؛ فقال : الحكاية تقتضي أن يكون مثل المحكي ؛ وليست الحروف مثل المعنى ، بل هي عبارة عن المعنى ودالة ؛ وبعض القائلين بهذا القول يرون هذا البحث لفظياً لا طائل تحته ؛ كما قال الناظم رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

في مذهب الإقترانية

والفرقة الاخرى فقالت انه لفظ ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم بالنفس ليس بقابل الحدثان
فالسين عند الباء لا مسبوقة لكن هما حرفان مقترنان
والقائلون بذا يقولوا[1] انما ترتيبها في السمع بالآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها فاعجب لذا التخليط والهذيان
لكن زاغونيهم قد قال ان ذواتها ووجودها غيران
فترتبت بوجودها لاذاتها يا للعقول وزيغة الاذهان
ليس الوجود سوى حقيقتها لذي الـ أذهان بل في هذه الاعيان
لكن اذا أأخذ الحقيقة خارجاً ووجودها ذهناً فمختلفان
والعكس أيضاً مثل ذا فاذاهما اتحدا اعتباراً لم يكن شيئان

---

(١) كان حقه أن يقول: والقائلون بذا يقولون باثبات نون (يقولون)، ولكن حذف النون لضرورة الشعر.

وبذا تزول جميع اشكالاتهم في ذاتـه ووجوده الرحمن

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذهب الاقترانية في القرآن ، وهم السالمية ومن وافقهم ، وذلك أن كلام الله عندهم حروف وأصوات قديمة أزلية ، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم، ثم إن جمهور هؤلاء يقولون : إن تلك الأصوات هي الاصوات المسموعة من القراء، ولهم في ذلك تفاصيل، ليس هذا موضع ذكرها .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

لكن زاغونيهم قد قـال إن ذواتها ووجودها غيران

يعني أن الزاغوني[1] من أئمة هذه الطائفة قال : إن وجود هـذه الكلمات غير ذواتها ، فرد عليه الناظم بقوله : ياللعقول وزيغة الاذهان ؟أي: كيف يكون وجود الشيء غير ذاته ، ثم قرر الناظم رحمه الله تعالى ماهو الحق في المسألة ، وهو ان الوجود والماهية أن أخذا ذهنيين ، فالوجود الذهني عين الماهية الذهنية ، وكذلك إن أخذا خارجيين ، اتحدا أيضاً ، فليس في الخارج وجود زائد على الماهية الخارجة ، بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن ، هذا خيال محض ، وكذلك حصول الماهيـة في الذهن هو عين

---

(١) من علماء الفلسفة والكلام ابن الزاغوني ، واسمه علي ، وهو المذكور والله أعلم في « ميزان الاعتدال » للذهبي و « لسان الميزان » لابن حجر ، وأما علي ابن الزاغوني شيخ ابن الجوزي ، فقد اثنى عليه ابن الجوزي في « المنتظم » وكذا ابن رجب ومثله صاحب « الشذرات » و شيخ الحنابلة . واعظمهم، والمتكلم ايضاً حنبلي ؛ والظاهر انهما اثنان ، ولا يضر اتفاقهما في الاسم واسم الاب والكنية والمذهب ، فكلاهما حنبلي .

(ابن مانع)

وجودها ، فليس في الذهن ماهية ووجود متغايرين ، بل إن اخذا أحدهما ذهنياً ،والآخر خارجياً ، فأحدهما غير الآخر . ولما قرر المصنف هذا قال :

وبذا تزول جميع اشكالاتهـــم في ذاته ووجوده الرحمن

قَالَ النَّاظِم :

فصـل

في مَذاهب القائلينَ بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة

والقائلون بأنه بمشـــيئة وارادة أيضاً فهم صنفان

احداهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والاكوان

قالوا وصار كلامه باضافة الـــتشريف مثل البيت ذي الاركان

ما قال عندهم ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان

فالقول مفعول لديهم قائم بالغير كالاعراض والاكوان

هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معلمو الصبيان

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا اذا المذهب الشيطاني

وهم الالى اعتزلوا عن الحسن الـــــــرضى البصري ذاك العالم الرباني

وكذاك أتباع على منهاجهم من قبل جهم صاحب الحدثان

لكنما متأخروهم بعد ذا لك وافقوا جهماً على الكفران

فهم بذا جهمية أهل اعتزال ثوبهم أضحى له علمان

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الامام حكاه عن هم بل حكاه قبله الطبراني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان مذاهب القائلين بأن كلام الله تعالى متعلق بالمشيئه والارادة ، فذكر مذهب الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ومن تبعهم من المعتزلة ، وذلك أن الكلام عندهم صفة فعل ، قالوا : وانما سمي كلام الله للتشريف ، كما يقال : بيت الله ، والا فالله تعالى عندهم ماتكلم ولا يتكلم ، كما قال الامام أحمد رحمه الله تعالى فيما خرجه في الرد على الجهمية : بيان ماأنكرت الجهمية أن الله كلم موسى ﷺ ، وعلى نبينا قلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ قالوا : لأن الله لم يتكلم ، ولا يتكلم ، وانما كون شيئاً ، فعبر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعمو أن الكلام لايكون إلا من جوف ، وفم وشفتين ، ولسان. فقلنا : فهل يجوز لمكون أو لغير الله أن أن يقول لموسى : (لا إله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه ١٤ (وإني أنا ربك) طه : ١٢ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً ، كأن يقول ذلك المكون : ياموسى ان الله رب العالمين ، لايجوز ان يقول : إني أنا الله رب العالمين ، وقد قال جل ثناؤه (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ وقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الأعراف : ١٤٣ وقال (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) الاعراف : ١٤٤ فهذا منصوص

القرآن. قال: وأما ما قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان»، (١) قال: وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، وشفتين ولسان، أليس قال الله للسموات والارض: (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت: ١١ أترى انها قالت بجوف، وشفتين، ولسان. وقال الله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) الأنبياء ٧٩ أتراها أنها سبحت بفم، وجوف، ولسان، وشفتين. والجوارح إذا شهدت على الكفار(٢). فقالوا (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فصلت: ٢١ أتراها نطقت بجوف، وشفتين، وفم، ولسان، ولكن الله أنطقها كيف شاء، من غير أن يقول: فم، ولسان، وشفتين. قال: فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، الا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. قلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم بما تظهرون، وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يارب، هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم ياموسى هو كلامي، وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الالسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وانما كلمتك على قدر مايطيق بدنك، ولو كلمتك باكثر من ذلك مت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) في الاصل: الكافر:

أصفه لكم؟ قالوا : شبهه .قال : أسمعتم أشد مايسمع من أصوات الصواعق، فكأنه مثله[1] .

قال : وقلنا للجهمية من القائل لعيسى يوم القيامة (ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهـين من دون الله) المائدة : ١١٦ أليس الله هو القائل ؟ قالوا : يكون الله شيئاً يعبر عن الله ، كما كون لموسى فعبر ؟ فقلنا : فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) الاعراف : ٦ أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما يكون الله شيئاً ، فيعبر عن الله . قلنا : قد أعظمتم على الله الفرية ، حين زعمتم أن الله لايتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الأصنام لاتتكلم ، ولا تتحرك ، ولا تزول من مكان الى مـكان ، فلما ظهرت عليه الحجة قال : أقول : ان الله قد يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق. قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لايتكلم ، حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لايتكلمون ، حتى خلق لهم كلاماً ، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة ، بل نقول : إن الله جل ثناؤه ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً ، ولا نقول : إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولانقول : إنه قـد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ، ولا نقـول : إنه كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة .

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا من الله هـذه الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى ، حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته . فقلنا : لانقول : إن الله لم يزل

---

(١) في الاصل: قال : أسمعتم أصوات الصواعق التي في تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله ،وهذا الاثر موجود في « تفسير الطبري » عن الزهري بغير هذا اللفظ .

وقدرته ، ولم يزل ونوره ، ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر . فقالوا : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله ولاشيء . فقلنا : نحن نقول : كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ، وضربنا لهم مثلاً في ذلك . فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع ، وكرب ، وليف ، وسعف ، وخوص ، وجمار ، واسمها اسم واحد ، سميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله جل ثناؤه ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم ، والذي لايعلم فهو جاهل ، ولكن تقول : لم يزل الله قادراً ، عالماً ، مالكاً ، لا متى ، ولا كيف ، وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) المدثر : ١١ وقد كان لهذا الذي سماه الله (وحيداً) عينان ، وأذنان ، ولسان ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة . فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

وفي «التسعينية» لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ومما ينبغي أن يعلم أن الجهمية لما كانت في نفس الأمر قولها قول أهل الشرك والتعطيل ، ليس هو قول أحد من أهل الكتب المنزلة ، ولكن لم يكن لهم بد من موافقة أهل الكتاب في الظاهر ؛ وان كانوا في ذلك منافقين عالمين بنفاق أنفسهم ، كما عليه طواغيتهم الذين علموا بمخالفة أنفسهم للرسل ؛ وأقدموا على ذلك ؛ وهؤلاء (إما) منافقون زنادقة ؛ وإما جهال بنفاق أنفسهم ؛ صاروا في الجمع بين

تكذيبهم الباطن ؛ وتصديقهم الظاهر ؛ جامعين بين النقيضين ؛ مضطرين الى السفسطة في العقليات ، والقرمطة في السمعيات ، مفسدين للعقل والدين . وقولهم بخلق القرآن ، ونفي الصفات ، من أصول نفاقهم ؛ وذلك أنه من المعلوم ببداية العقول ؛ أن الحي لا يكون حياً الا بحياة تقوم به ، لا يكون حياً بلا حياة ، أو بحياة تقوم ، بغيره ، وكذلك العالم ، والقادر ؛ لا يكون عالماً ، ولا قادراً الا بعلم وقدرة تقوم به ، لا يكون عالماً قادراً بلا علم ولا قدرة ؛ أو بعلم وقدرة تقوم بغيره ؛ وكذلك الحكيم ، والرحيم ، والمريد ، لا يكون حكيماً ، ولا رحيماً ، أو متكلماً أو مريداً ، إلا بحكمة ورحمة تقوم بغيره ، ولا يكون متكلماً ولا مريداً بلا كلام ولا إرادة ، أو بكلام وإرادة تقوم بغيره ، وكذلك من المعلوم ببداية العقول أن الكلام ، والارادة ، والعلم ، والقدرة لا تقوم الا بمحل ؛ إذ هذه صفات لا تقوم بأنفسها ؛ ومن المعلوم ببداية العقول أن المحل الذي يقوم به العلم يكون عالماً ، والذي تقوم به القدرة يكون قادراً ، والذي يقوم به الكلام يكون متكلماً ، والذي تقوم به الرحمة يكون رحيماً ، والذي تقوم به الارادة ، يكون مريداً ، فهذه الأمور مستقرة في فطر الناس ، تعلمها قلوبهم علماً فطرياً ضرورياً ، والألفاظ المعبرة عن هذه المعاني هي من اللغات التي اتفق عليها بنو آدم ، فلا يسمون عالماً قادراً إلا من قام به العلم والقدرة ، ومن قام به العلم والقدرة سموه عالماً قادراً ، وهذا معنى قول من قال من أهل الاثبات : إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل ، وكان ذلك المحل هو العالم المتكلم ، دون غيره . ومعنى قولهم : إن الصفة إذا قامت بمحل اشتق له منها اسم كما يشتق لمحل العلم عليم ، ولمحل الكلام متكلم ، ومعنى قولهم : إن صدق المشتق لا ينفك عن صدق المشتق منه أن لفظ العليم والمتكلم مشتق من لفظ العلم

والكلام ، فاذا صدق في الموصوف أنه عليم ، لزم أن يصدق حصول العلم والكلام له ، ولهذا كان أئمة السلف الذين عرفوا حقيقة من قال : مخلوق ، وأن معنى ذلك أن الله لم يقم به كلام ، بل الكلام قائم بجسم من الأجسام غيره ، وعلموا أن هـــذا يوجب بالفطرة الضرورية أن يكون ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، دون الله ، وأن الله لا يكون متكلماً أصلاً ؛ صاروا يذكرون قولهم بحسب ماهو عليه في نفسه ، وهو أن الله لا يتكلم وإنما خلق شيئاً تكلم عنه . وهكذ كانت الجهمية تقول أولاً ، ثم إنها زعمت أن المتكلم من فعل الكلام ولو في غيره . واختلفوا هـــل يسمى متكلماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين . فلهم في تسمية الله تعالى متكلماً بالكلام المخلوق ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو حقيقة قولهم وهم فيه أصدق لاظهارهم كفرهم : إن الله لاتكلم ، ولا يتكلم .

والثاني :ـ وهم فيه متوسطون في النفاق ـ إنه يسمى متكلماً بطريق المجاز.

والثالث ـ وهم فيه منافقون نفاقاً محضاً ـ : إنه يسمى متكلماً بطريق الحقيقة ، وأساس النفاق الذي ينبني عليه الكذب ، فلهذا كانوا من أكذب الناس في تسمية الله متكلماً بكلام ليس قائماً به ، وإنما هو مخلوق في غيره، كما كانوا كاذبين مفترين في تسمية الله عالماً ، قادراً ، مريداً ، متكلماً بلا علم يقوم به ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، وكانوا وإن نطقوا بأسمائه فهم كاذبون بتسميته بها ، وهم ملحدون في الحقيقة كإلحاد الذين نفوا عنه أن يسمى بالرحمن . (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الفرقان : ٦٠ وبذلك وصفهم الأئمة وغيرهم ممن خبر مقالاتهم ، كما قال الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الجهمية : فاذا

قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . قلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لاتثبتون شيئاً ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ،وقلنا لهم : هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا : لم يتكلم ، ولا يتكلم ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية ، فإذا سمع الجاهل قولهم ،يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يقودون قولهم إلى ضلالة و كفر . انتهى كلامه .

قوله :

لكن أهل الاعتزال قديمهم لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني

أي : أن قدماء المعتزلة ، ك . واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وغيرهما لم يذهبوا الى القول بخلق القرآن ، ولكن متأخروهم بعد ذلك وافقوا الجهم على القول بخلق القرآن ، ولهذا قال الناظم :

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ل ثوبهم أضحى له علمان

العلم : رسم الثوب ورقمه ، قاله في « القاموس » .

قوله : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ . أي : أن القائلين بخلق القرآن ، كفرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين ، وهذا معنى قول الناظم : ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر الخ .

قوله : واللالكائي الامام حكاه عنهم الخ .

قال الامام الحافظ ابو القاسم اللالكائي وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً وأكثر من التابعين ، وأتباع

التابعين ، والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ، ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، قال : ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكن اختصرت ، فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لاينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه ، وأمروا بقتله ، أو نفيه ، أو صلبه . قال : ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق ، الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان . فأما جعد ، فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم ، فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسأذكر قصتهما إن شاء الله تعالى ، وقد حكى نحواً من هذا الطبراني ، كما ذكر الناظم رحمه الله تعالى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مذاهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة ... في ذاته أيضاً فهم نوعان

إحداهما جعلته مبدوءاً به ... نوعاً حذار تسلسل الأعيان

فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات خالق هذه الأكوان

فلذاك قالوا إنه ذو أول ... ما للفناء عليه من سلطان

وكلامه كفعاله وكلاهما ... ذو مبدء بل ليس ينتهيان

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا وأتوا بتشنيع بلا برهان

قلنا كما قالوه في أفعاله بل بيننا بون من الفرقان

بل نحن أسعد منهم بالحق إذ قلنا هما بالله قائمتان

وهم فقالوا لم يقم بالله لا فعل ولا قول فتعطيلان

لفعاله ومقاله شر وأبطل من حلول حوادث ببيان

تعطيله عن فعله وكلامه شر من التشنيع بالهذيان

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

أني وما قد قال أقرب منهم للعقل والآثار والقرآن

لكنهم جاؤوا له بجعاجع وفراقع وقعاقع بشنان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وإرادة ، فذكر مقالة الكرامية بتشديد الراء ، وهم أتباع أبي عبد الله محمد ابن كرام ، أبو عبد الله السجستاني الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية ، مات سنة ٢٥٥ وفي « القاموس » ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش ، وأنه جوهر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مذهب الكرامية ان كلام الله تعالى حادث ، قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام ، بل مازال عندهم قادراً على الكلام ، وهو عندهم لم يزل متكلماً ، بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام ، وإلا فوجود الكلام

عندهم في الأزل ممتنع ، كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من أهل الكلام ، كالمعتزلة وأتباعهم ، وهم يقولون : انه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته ، ولا يقولون : ان الأصوات المسموعة ، والمداد الذي في المصحف قديم ، بل يقولون : ان ذلك محدث .

قوله : إحداهما جعلته مبدوءاً به . . الى قوله :

وكلام كفعاله وكلاهما ذو مبدء بل ليس ينتهيان

أي : ان الكرامية قالت : ان كلام الله تعالى له أول ، ولفعاله أول ، ولكن لانهاية لهما عندهم .

وقوله: حذار تسلسل الأعيان . أي : أن الكرامية قالوا هذا القول خوفاً من لزوم التسلسل ، وذلك لأنهم شاركوا الجهمية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم ، بدليل الاعراض المشهور بين المتكلمين ، ومبنى الدليل على منع التسلسل . قالوا : فلو كان الباري تعالى متكلماً في الأزل بكلام لا أول له ، وفاعلاً لأفعال لا أول لها ، لزمنا القول بالتسلسل ، فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم .

وقوله : قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا الخ . أي : قالت الكرامية لمن خالفهم من المتكلمين الذين شنعوا عليهم في مسألة الكلام : انا قلنا معشر الكرامية كما قلتم في أفعاله تعالى ، فن لها أولاً عندكم ، فليكن كلامه كذلك ، وأنتم قلتم : كلام الله وأفعاله غير قائمة به ، وهذا شيء غير معقول ، اذ لا يسمى متكلماً إلا من قام به الكلام ، ولا فاعلاً الا من قام به الفعل ، وأنتم قلتم : هو قائل بقول لا يقوم به ، وفاعل بفعل لا يقوم

به ، فهذا تعطيل لفعاله ومقاله ، وهو شر من القول بحلول الحوادث ، ولهذا قال الناظم :

هذي مقالات ابن كرام وما ردوا عليه قط بالبرهان

وقد قال الفخر الرازي في « الأربعين » ان مسألة حلول الحوادث تلزم عامة الطوائف ، وذكر في « الأربعين » أنها تلزم أصحابه الأشاعرة أيضاً . فقال : ان الكرامية يجوزون ذلك ، وينكره سائر الطواف . وقيل : أكثر العقلاء يقولون به ، وان انكروه باللسان ، فان أبا علي وأبا هاشم من المعتزلة وأتباعهما قالوا : إنه يريد بارادة حادثة ، ويكره بكراهة حادثة ، لا في محل ، إلا أن صفة المريدية والكارهية محدثة ، واذا حصل المرئي والمسموع ، حدث في ذاته تعالى صفة السامعية والمبصرية ، لكنهم انما يطلقون لفظ التجدد دون الحادث ، وأبو الحسين البصري يثبت في ذاته علوماً متجددة بحسب تجدد المعلومات ، والأشعرية يثبتون نسخ الحكم مفسرين ذلك برفعه أو انتهائه ، والارتفاع والانتهاء عدم بعد الوجود ، ويقولون : إنه عالم بعلم واحد ، يتعلق قبل وقوع المعلوم بأنه سيقع ، وبعده يزول ذلك المتعلق ، ويتعلق بأنه وقع ، ويقولون بأن قدرته تتعلق بايجاد المعين ، واذا وجد انقطع ذلك التعلق لامتناع إيجاد الموجود ، وكذلك تعلق الارادة بترجيح المعين ، وأيضاً المعدوم لايكون مرئياً ولا مسموعاً وعند الوجود يصير مرئياً مسموعاً ، فهذه التعلقات حادثة ، فان التزم جاهل كون المعدوم مرئياً مسموعاً ، قلنا : الله تعالى يرى المعدوم معدوماً لا موجوداً ، وعند وجوده يراه موجوداً لا معدوماً ، لأن رؤية الموجود معدوماً ، أو بالعكس ، غلط ، وإنه يوجب ماذكرنا ، والفلاسفة مع بعدهم

عن هذا يقولون بأن الاضافات وهي القبلية والبعدية والمعية موجودة في الأعيان ، فيكون الله مع كل حادث ، وذلك الوصف الاضافي حدث ذاته . وأبو البركات من المتأخرين منهم صرح في « المعتبر » بارادات محدثة ، وعلوم محدثة في ذاته تعالى ، زاعماً بأنه لايمكن الاعتراف بكونه إلهاً لهذا العالم إلا مع هذا القول ، ثم قال : الاجلال من هذا الاجلال ، والتنزيه من هذا التنزيه واجب :

قال الرازي : واعلم أن الصفة إما حقيقة عارية عن الاضافة ، كالسواد . والبياض ، أو حقيقة يلزمها إضافة ، كالعلم والقدرة ، فانه يلزمها تعلق بالمعلوم والمقدور ، وهو اضافة مخصوصة بينهما ، واما إضافية محضة ، ككون الشيء قبل غيره وبعده ، ويمينه ويساره ، فان تغير هذه الأشياء لايوجب تغيراً في الذات ، ولا في صفة حقيقية منها ، فنقول : تغير الاضافات لا محيص عنه ، وأما تغير الصفات الحقيقية ، فالكرامية يثبتونه ، وغيرهم ينكرونه ، فظهر الفرق بين مذهب الكرامية : لايسمى ذلك صفة ، ولانقول : ان ذلك تغير في الصفات الحقيقية . انتهى .

ونقل السيد الشريف في « شرح المواقف » قال : وقالت الكرامية : العقلاء يوافقوننا في قيام الصفة الحادثة بذاته سبحانه وتعالى ، وإن انكروا علينا[1] باللسان ، فان الجبائية قالوا بارادة وكراهية حادثتين لا في محل ، لكن المريدية والكارهية (قالوا) : حادثتان في ذاته تعالى ، وكذا السامعية والمبصرية تحدث بحدوث المسموع والمبصر ، وأبو الحسين يثبت علوماً متجددة ، والاشعرية يثبتون النسخ ، وهو إما رفع الحكم القائم بذاته أو انتهاؤه ، وهما عدم بعد الوجود ، فيكونان حادثين . انتهى .

قوله : لكنهم جاؤوا له بجعاجع الخ ، الجعجعة : صوت الرحى .

---

(١) في الاصل : وإن أنكرونا .

والقعاقع : تتابع أصوات الرعد ، فرقع الأصابع نقضها ، فتفرقعت وافرنقعت ، قاله في « القاموس » .

قال النّاظم رَحِمَهُ الله تعالى :

فصل

في ذكر مذهب أهل الحديث

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ومحمد وأئمة الايمان

قالوا بأن الله حقاً لم يزل ... متكلماً بمشيئه وبيان

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـ ... ـلو عنه في أزل بلا امكان

ويصير فيما لم يزل متكلماً ... ماذا اقتضاه له من الامكان

وتعاقب الكلمات أمر ثابت ... للذات مثل تعاقب الازمان

والله رب العرش قال حقيقة ... (حم) مع (طه) بغير قران

بل أحرف مترتبات مثلما ... قد رتبت في مسمع الانسان

وقتان في وقت محال هكذا ... حرفان أيضاً يوجدا في آن

من واحد متكلم بل يوجدا ... بالرسم أو بتكلم الرجلان

هذا هو المعقول أما الاقتـ ... ـران فليس معقولاً لذي الاذهان

وكذا كلام من سوى متكلم أيضاً محال ليس في الامكان
الا لمن قام الكلام به فذا ك كلامه المعقول في الاذهان
أيكون حياً سامعاً أومبصراً من غير ماسمع وغير عيان
والسمع والابصار قام بغيره هذا المحال وواضح البهتان
وكذا مريدوالارادة لم تكن وصفاً له هذا من الهذيان
وكذا قدير ماله من قدرة قامت به من أوضح البطلان
والله جل جلاله متكلم بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل الإله عليه لم ينكره من أتباعهم رجلان
فكلامه حقاً يقوم به والا لم يكن متكلماً بقران
والله قال وقائل وكذا يقول الحق ليس كلامه بالفاني
ويكلم الثقلين يوم معادهم حقا فيسمع قوله الثقلان
وكذا يكلم حزبه في جنة الحيوان بالتسليم والرضوان
وكذا يكلم رسله يوم اللقا حقاً فيسألهم عن التبيان
ويراجع التكليم جل جلاله وقت الجدال له من الانسان
ويكلم الكفار في العرصات تو بيخاً وتقريعاً بلا غفران
ويكلم الكفار أيضاً في الجحيم أن اخسؤوا فيها بكل هوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في مذهب النوع الثـــاني القائلين بأنه تعالى يتكلم بمشيئة وارادة ، وانه سبحانه يتكلم من ذاته ، وهم أهـــل الحديث ، فقال : والآخرون أولو الحديث ، كأحمد ، ومحمد الخ . . أي : أن أصحاب الحديث ، كالامام أحمد ، والبخاري وغيرهما من الأئمة قالوا بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته إذا شاء ، وذلك أن الكلام من صفات الكمال ، فالذي لا يتكلم ، أو حدث له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً ، ناقص ، وهذا هو معنى قول الناظم :

إن الكلام هو الكمال فكيف يخـــلو عنه في أزل بلا إمكان
ويصير فيما لم يزل متكلما ماذا اقتضاه له من الامكان

أي : كيف صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً .

وقوله .

والله رب العرش قال حقيقة (حم) مع (طه) بغير قران
بل أحرف مترتبات مثلما قد رتبت في مسمع الانسان

هذا اشارة إلى رد مذهب السالمية ومن وافقهم ، القائلين بأن كلام الله تعالى حروف واصوات قديمة أزليه ، وأن لها اقـــتراناً ثابتاً [1] لذواتها ، وأن السين لا تسبق الباء الخ .

ولهذا قال الناظم : وقتان في وقت محال هكذا ، أي : كما أنه لا يمكن أن يوجد وقتان في وقت ، فمحال أن يوجد حرفان في آن . أي : في وقت من متكلم واحد ، بل يمكن ذلك في الرسم . أي : في الخط ، أو بتكلم رجلين . فذلك يمكن أن يكون في وقت

---

(١) في الاصل اقتران ثابت

واحد، وأما النطق بحرفين معاً، فهو محال غير ممكن، ثم أشار الى رد مذهب الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلامه تعالى هو ما يخلقه في غيره، وذلك محال أيضاً، فلا يسمى متكلماً الا من قام به الكلام، وكذا لا يسمى سامعاً أو مبصراً الا من قام به السمع والبصر، وإلا فلا يسمى سامعاً او مبصراً بسمع او بصر قائم بغيره، وكذا لا يسمى مريداً وقديراً إلا من قامت به الارادة والقدرة، لا يسمى مريداً أو قديراً بارادة او قدرة بغيره. ثم قال الناظم.

والله جل جلاله متكلم ... بالنقل والمعقول والبرهان

وقد تقدم بسط الكلام في ذلك لما ذكرت مذهب الجهمية والمعتزلة في القرآن، بما أغنى عن إعادته.

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى:

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفاً فراجعها من القرآن

وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفذه بكل مكان

واذكر حديثاً «في صحيح محمد» ... ذاك البخاري العظيم الشان

فيه ندا الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصياً والداني

هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان

ورواه عندكم البخاري المجسـم بل رواه مجسم فوقان

أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ء ليس مسموعاً لنا بأذان

أم أجمع العلماء والعقلاء من أهل اللسان وأهل كل لسان

ان الندا الصوت الرفيع وضده فهو النجاء كلاهما صوتان

والله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن

واذكر حديثاً لابن مسعود صريحاً انه ذو أحرف ببيان

للحرف منه في الجزا عشر من الـ ـحسنات مافيهن من نقصان

وانظر الى السور التي افتتحت بأحـ ـرف فهـا ترى سراً عظيم الشان

لم يأت قط بسورة الا أتى في إثرها خبر عن القرآن

اذ كان إخباراً به عنها وفي هذا الشفاء لطالب الايمان

ويدل أن كلامه هو نفسها لا غيرها والحق ذو تبيان

فانظر الى مبدا الكتاب وبعدها (الاعراف) ثم كذا الى (لقمان)

مع تلوها أيضاً ومع (حم) مع (يس) وافهم مقتضى الفرقان

قوله : وأتى الندا في تسع آيات له الخ . وهو قوله تعالى في سورة الأعراف (وناداهما ربهما) الأعراف : ٢٢ الآية . وفي مريم (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) مريم : ٥٢ . وفي طه (فلما أتاها نودي ياموسى إني أنا ربك) طه : ١١ ، ١٢ . الآية . وفي سورة الشعراء (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) الشعراء : ١٠ . وفي النمل (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) النمل : ٨ . وفي القصص (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) القصص : ٣٠ .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) القصص : ٤٦ . (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص : ٦٢ ، ٧٤ ـ في موضعين ـ (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) القصص : ٦٥ . وفي الصافات (وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ . وفي النازعات (وهل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) النازعات : ١٥ ، ١٦ .

وقوله : وكذا يكلم جبرئيل بأمره . يشير الى حديث النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، فاذا تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال : رعدة ـ شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل فيقول جبريل : (قال الحق وهو العلي الكبير) سبأ : ٢٣ . فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض ، رواه ابن أبي حاتم[1] .

وقوله : واذكر حديثاً في « صحيح محمد » الخ . يشير الى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في القصاص ، وقد تقدم .

وقوله : ورواه عندكم البخاري المجسم الخ . يحكى عن الصاحب بن عباد أنه قال عن البخاري : إنه مجسم ساقط .

قوله : أيصح في عقل وفي نقل ندا . قال شيخ الاسلام في « منهاج السنة » . النداء لايكون الا أصواتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس .

---

(١) كان في هذا الحديث نقص ، فاستدركناه من « تفسير ابن كثير » .

وقول الناظم : وأتى الندافي تسع آيات له الخ. بل أتى النداء في عشرة مواضع أو أكثر ، كما في « المنهاج » .

قوله : واذكر حديثاً لابن مسعود . هو مارواه الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غيره من الأئمة ، وفيه : « أما إني لاأقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرم ، ولام حرف ، وميم حرف » .

قوله : وانظر الى السور التي افتتحت الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « بدائع الفوائد » : تأمل سر (الم) كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة ، فالألف اذا بدىء بها أولاً كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ، ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الحلق ، واللسان ، والشفتين ، وتنزلت في التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية ، فهذه الحروف تعتمد (على) المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها ثمانية[1] وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما ، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته ، وتوسطه ، فمشتملة على تخليق العالم وغايته ، وعلى المتوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ، وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فان الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها ، وهي الجهر ، والشدة ،

(١) في الاصل تسعة .

والاستعلاء ، والقلقلة ، والاطباق . والسين حرف مهموس، رخو، مستفل، صفير ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع الى الطاء الاحرف (التي) يقابلها ، كالسين والهاء ، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف . وتأمل السور التي اجتمعت على الحروف المفردة، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرر القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين قول العبد ، وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين، وذكر القبل مرتين، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن الا تكرار القول والمحاورة ، وسر آخر، وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة، والجهر ، والعلو، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح، فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ ، وقولهم (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) ص : ٥ الى آخر كلامهم . ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات ، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم.

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها ، وهذه قطرة من بعض أسرار هذه الحروف ، والله سبحانه أعلم. آخر كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في إلزامهم التشبية للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

والله عز وجل موص آمر ... ناه مثيب مرسل لبيان

ومخاطب ومحاسب ومنبىء ... ومحدث ومخبر بالشان

ومكلم متكلم بل قائل ... ومحذر ومبشر بأمان

هاد يقول الحق يرشد خلقه ... بكلامه للحق والايمان

فاذا انتفت صفة الكلام فكل ه ... ـذا منتف متحقق البطلان

واذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ ... إرسال منفي بلا فرقان

فرسالة المبعوث تبليغ كلا ... م المرسل الداعي بلا نقصان

وحقيقة الارسال نفس خطابه ... للمرسلين وأنه نوعان

نوع بغير وساطة ككلامه ... موسى وجبريل القريب الداني

منه اليه من وراء حجابه ... إذ لا تراه هاهنا العينان

والآخر التكليم منه بالوسا ... طة وهو أيضاً عنده ضربان

وحي وإرسال اليه وذاك في الشورى أتى في أحسن التبيان

مضمون هذا الفصل إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام نفي الرسالة ، اذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، فاذا انتفت صفة الكلام ، لزم نفي الرسالة ، ثم ذكر أن حقيقة الارسال نفس خطابه تعالى للمرسلين ، وهو نوعان : بغير وساطة ، ككلامه تعالى لجبريل وموسى من وراء حجاب ، والنوع الثاني : تكليم بالوساطة ، كتكليمه سبحانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على لسان جبريل ، كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه مايشاء) الشورى:٥١ الآيـة .

قال النّاظم رَحمهُ الله تعالى :

فصل

في إلزامهم القول بنَفي الرّسَالة إذا انتفت صفة الكلام

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها   خرس وذلك غاية النقصان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي   هو قابل من أمة الحيوان
والرب ليس بقابل صفة الكلا   م فنفيها ما فيه من نقصان
فيقال سلب كلامه وقبوله   صفة الكلام أتم للنقصان
إذ أخرس الانسان أكمل حالة   من ذا الجماد بأوضح البرهان
فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ   ـجسيم والتشبيه بالانسان
ووقعت في تشبيهه بالجامدا   ت الناقصات وذا من الخذلان

الله أكبر هتكت أستاركم حتى غدوتم ضحكة الصبيان

قول الناظم :

فاذا انتفت صفة الكلام فضدها خرس وذلك غاية النقصان

لاشك أن الكلام صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق اذا لم يكن فيه نقص بوجه ما ، فالخالق أحق به ، لأنه هو الذي خلقه ، وكل كمال اتصف به موجود ممكن وحادث ، فالموجود الواجب القديم أولى به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق موجود حادث ، فالخالق أولى بتنزيهه عنه .

قوله : فلئن زعمتم ان ذلك في الذي هو قابل الخ . قالت النفاة من الباطنية من المتفلسفة وغيرهم : لما قيل لهم ، اذا لم يوصف بالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والكلام ، لزم أن يتصف بما يقابل ذلك ، كالعجز ، والجهل ، والموت ، والبكم . فقالوا : انما يلزم ذلك لو كان قابلاً للاتصاف بذلك ، فان المتقابلين تقابل السلب والايجاب ، كالوجود والعدم ، اذا عدم أحدهما ثبت الآخر ، وأما المتقابلان تقابل العدم والملكة ، كالحياة والموت ، والعمى والبصر ، فقد يخلو المحل عنهما ، كالجماد ، فانه لايوصف لا بهذا ولا بهذا. فقال لهم أهل الاثبات : فررتم (من)[1] تشبيهه بالحيوان الناقص الذي لايسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ، مع امكان ذلك منه ، فشبهتموه بالجماد الذي لايقبل الاتصاف لا بهذا ولا بهذا ، فكان مافررتم اليه شراً مما فررتم منه .

---

(١) في الاصل : عن .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفـــعال العباد خليقـــة الرحمن
من ألف وجه أو قريب الالف يحـــصيها الذي يعنى بهذا الشان
فيكون كل كلام هذا الخلق عـــين كلامه سبحان ذي السلطان
اذ كان منسوباً اليه كلامـه خلقاً كبيت الله ذي الاركان
هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحـــاد مصرحاً ببيان
حـــذر التناقض إذ تناقضتم ولـــكن طرده في غاية الكفران
فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كبيته وكلاهما خلقان
فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو م (ولا الخصوص)[1] كرب ذي الأكوان
ويقال رب العرش أيضاً هكذا تخصيصه لاضـــافة القرآن
لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غـــاية الايضاح والتبيان

هذا الالزام الذي ذكره الناظم هو إلزام مشهور للسلف ، الزموا به الجهمية القائلين بأن كلام الله مخلوق ، وأن إضافته الى الله اضافة تشريف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، فألزمهم السلف بأن جميع كلام

---

(١) جملة : « ولا الخصوص » زيادة لم تكن في الاصل ، ولا في غيره ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

الخلق عين كلام الله . قال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر ، وإذا كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ . وزعموا أن هذا مخلوق . وقال (إنني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني) طه : ١٤ . فقد ادعى ما ادعى فرعون ، فلما صار فرعون أولى بأن يخلد في النار اذ قال : (أنا ربكم الأعلى) من هذا ، وكلاهما عنده مخلوق ، فأخبر بذلك ابو عبيد ، فاستحسنه وأعجبه ، ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق « أفعال العباد » ، وكذلك ذكر نظير هذا عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى ابن سعيد القطان ، ولهذا قال الناظم : هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد ، أي : أن الاتحادية صرحوا بهذا اللازم ، فقالوا :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولكن طرد هذا ، كما قال الناظم : في غاية الكفران ، أي : ان القول بهذا هو غاية الكفران ، بل لا أكفر ممن يقول ذلك ، نعوذ بالله .

قوله : فلئن زعمتم أن تخصيص القران الخ . أي : كما أنه اذا قيل : رب الأكوان ، ورب المخلوقات ، فالعرش داخل في عموم الأكوان والمخلوقات ، فاذا قلتم : ان اضافة القرآن اليه تعالى للتشريف ، لزمكم أن جميع كلام الخلق كلام الله ، والتخصيص في القرآن لاينفي العموم ، كما اذا قيل : رب العرش ، ورب الأكوان ، كما لايخفى ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ ـأمر الصريح وذاك في الفرقان
وكلاهما عند المنازع واحد والكل خلق ما هنا شيئان
والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه وذاك في القرآن
فيقال هذا ذو امتناع ظاهر في آيـة التفريق ذو تبيان
فالله بعد الخلق أخبر أنها قد سخرت والأمر للجريان
وأبان عن تسخيرها سبحانه بالأمر بعد الخلق والتبيان
والأمر إما مصدر أو كان مفـ ـعولاً هما في ذاك مستويان
مأموره هو قابل للأمر كالـ ـمصنوع قابل صنعة الرحمن
فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان
وانظر الى نظم السياق تجد به سراً عجيباً واضح البرهان
ذكر الخصوص وبعده متقدماً والوصف والتعميم في ذا الثاني
فأتى بنوعي خلقه وبأمره فعلاً ووصفاً موجزاً ببيان
فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

قوله : ولقد أتى الفرقان بين الخلق والأمر الخ . أي : ان الله فرق بين الخلق والأمر في قوله تعالى (ألاله الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ فجعل الخلق غير الأمر ، ولكن الجهمية ومن تبعهم قالوا: ان الخلق هنا هو الأمر، وقالوا : العطف لا يقتضي المغايرة ، بل هو من عطف الخاص على العام ، وهذا معنى قول الناظم : والعطف عندهم كعطف الفرد من نوع عليه الخ. وهذا مردود ، لأن الله سبحانه أخبر في هذه الآية أنهـا بعد الخلق قد سخرت بالأمر .

قوله . والأمر إما مصدر الخ . أي : ان الأمر في الآية ، إمـا ان يكون مصدراً ، كما هو الأظهر ، وإما ان يكون المراد به المأمور ، كما يقوله أهل التأويل ، فهما سواء ، فإن المأمور لابد له من آمر ، ولذلك سمي مأموراً ، كما ان المخلوق ينفى اذ انتفى الحدثان .

وقال الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في شرح « جمع الجوامع » قال البويطي عن الشافعي : انما خلق الله الخلق بـ (كن) ، فلو كانت هي مخلوقة ، فمخلوق خلق مخلوقاً . قال الأئمة : ولو كان (كن) الأول مخلوقاً، فهو مخلوق بأخرى ، وأخرى الى ما لا يتناهى، وهو مستحيل.

وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه في قوله تعـالى (ألاله الخلق والأمر) الاعراف : ٥٤ الأمر: القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر ، ولو كان الأمر مخلوقاً لم يكن لتفصيله معنى . قال ابن عيينة : فرق بـين الأمر والخلق ، فمن جمع بينهما فقد كفر ، وأما ان القرآن هو الأمر ، فلقوله تعـالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) الدخان : ٣ ـ ٥ وروي هذا الاستنباط عن احمد بن حنبل، ومحمد ابن يحيى الذهلي ، واحمد بن سنان وغيرهم من الأئمة ، وذكر البيهقي بإسناد

صحيح عن عمرو بن دينار قال : سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : ومشيخته جماعة من الصحابة ، منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وابن الزبير ، وأكابر التابعين ، ثم قال : وروينا هذا القول عن الليث بن سعد ، وسفيان ، وابن المبارك ، وحماد ابن زيد ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي عبيد ، والبخاري ، ومشيخة سواهم . وانما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم ، وعنه كان يأخذ الجهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى. انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه منه ومجرور بمن نوعان
عين ووصف قائم بالعين قالـ أعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضاً سواء مايضاف اليه من صفة ومن أعيان
فاضافة الأوصاف ثابتة لمن قامت به كارادة الرحمن
وإضافة الاعيان ثابتة له ملكاً وخلقاً ما هما سيان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه لما أضيف كيف يفترقان

وكلامه كحياته وكعلمه في ذي الإضافة اذ هما وصفان

لكن ناقته وبيت إلهنا فكعبده أيضاً هما ذاتان

فانظر إلى الجهمي لما فاته الحق المبين واضح الفرقان

كان الجميع اديه باباً واحداً والصبح لاح لمن له عينان

قوله : والله أخبر في القرآن بأنه الخ . أي : كما في قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) النحل : ١٠٢ وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) الانعام : ١١٤ وقال تعالى عن المسيح (وروح منه) النساء : ١٧١ ومن لابتداء الغاية . وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) الجاثية : ١٣ ومن لابتداء الغاية.

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى لايقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات ، وجب ان يكون صفة لله تعالى قائمة به ، وامتنع اضافته اضافة مخلوق مربوب ، واذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كجبريل ، وعيسى عليهما السلام ، وأرواح بني آدم ، امتنع ان يكون صفة لله تعالى ، لأن ماقام بنفسه لايكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة الى الله تعالى على وجهين .

أحدهما : أن تضاف اليه بكونه خلقها وأبدعها ، فهذا شامل لجميع المخلوقات ، كقولهم : سماء الله ، وأرض الله ، فجميع المخلوقين عبيد الله ، وجميع المال مال الله .

الوجه الثاني : ان يضاف اليه لما خصه به من معنى يحبه ، ويأمر به ، ويرضاه ، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لاتكون في غيره ، وكما يقال

في مال الخمس والفيء : هو مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه ، فعباد الله هم الذين عبدوه أوطاعوا أمره ، فهذه اضافة تتضمن ألوهيته ، وشرعه ، ودينه » وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقه . انتهى ملخصاً

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما للنـــاس قرآن ولا إثنان

بل أربع كلٌ يسمى بالقرا ن وذاك قول بيّن البطــلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت في الرسم يدعى المصحف العثماني

والثالث المحفوظ بين صدورنا هذي الثلاث خليقة الرحمن

والرابع المعنى القديم كعلمه كل يعبر عنـه بالقرآن

وأظنه قد رام شيئاً لم يجد عنه عبـارة ناطق ببيـان

إن المعين ذو مراتب أربع عقلتْ فلا تخفى على إنســان

في العين ثم الذهن ثم اللفظ ثـم الرسم حين تخطـه بنان

وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ أولى به الموجود في الأعيان

بخلاف قول ابن الخطيب فانه قد قال ان الوضع للأذهان

فالشيء شيء واحد لا أربع فدهى ابن حزم قلة العرفان

ابن حزم : هو الامام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري المشهور ، عالم الأندلس ، صاحب المصنفات المشهورة ، كـ « الملل والنحل » و « المحلى شرح المجلى »[1] وكتاب « الاجماع » وكتاب « الايصال » وغير ذلك ، وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره ، والاسهاب في أمره .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » : ولد رحمه الله تعالى بقرطبة سنة ٣٨٤ أربـــع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع من أبي عمر أحمد بن الحسور ، ويحي بن مسعود ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحمام بن أحمد القاضي ، وعبد الله ابن ربيع التميمي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وخلق . روى عنه أبو عبد الله الحميدي فأكثر ، وابنه أبو رافع الفضل ، وطائفة . وكان إليه المنتهى في الذكاء ، والحفظ ، وسعة الدائرة في العلوم ، وكان شافعياً ، ثم انتقل الى القول بالظاهر ، ونفى القول بالقياس ، وتمسك بالعموم والبراءة الأصلية ، وكان صاحب فنون ، فيه دين ، وتورع ، وتزهد ، وتحر للصدق ، وكان أبوه وزيراً جليلاً ، محتشماً ، كبير الشأن ، وكان لأبي محمد كتب عظيمة ، لاسيما كتب الحديث ، والفقه ، وقد صنف كتاباً كبيراً في فقه الحديث سماه « الايصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام والحلال والحرام » اورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم ، والحجة لكل قول ، وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » مجلدان ، وكتاب « المجلى » في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد ، وشرحه وهو « المحلى » في ثمـــاني مجلدات ، وكتاب « الفصل في الملل والنحل » ثلاث مجلدات ، وكتاب « إظهار تبديل اليهود

---

(١) لقد جمع ابن حزم مسائل مختصرة في كتاب سماه « المجلى » ثم رغب اليه بعض الناس أن يشرحه ، فاستجاب وسماه « المحلى شرح المجلى » وهو كتاب عظيم ومرجع كبير في الفقه الاسلامي ، غير أنه ـ رحمه الله ـ كان شديد اللهجة في الرد على مخالفيه.

والنصارى للكتابين التوراة والانجيل » وكتاب « التقريب لحد المنطق » والمدخل اليه بألفاظ أهل العلم ، لا بألفاظ أهل الفلسفة ، ومثله بالأمثلة الفقهية . أخذ المنطق عن محمد بن حسن المذحجي ، وأمعن فيه ، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء .

قال أبو حامد الغزالي : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه .

وقال صاعد بن أحمد : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة ، والشعر ، ومعرفته بالسنن والآثار . اخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تآليفه أربعمائة مجلد ، يحتوي على نحو من ثمانين الف ورقة .

قال الحميدي : كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه ، مستنبطاً للاحكام من الكتاب والسنة ، متقناً في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء ، وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل ، مارأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير ، جمعه على حروف المعجم .

قال أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاته ، سوى المجلد الأخير من كتاب « الفصل » وقرأنا عليه من كتاب « الإيصال » سبع مجلدات في سنة ست وخمسين[1] ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ومن تآليفه كتاب « الصادع » في الرد على من قال بالتقليد ، وكتاب « شرح أحاديث الموطأ » ، وكتاب « الجامع » في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، وكتاب « منتقى الإجماع » وكتاب

(١) لعله يقصد : سنة ست وخمسين بعد الاربعمائة .

« كشف الالتباب لمابين الظاهرية وأصحاب القياس » وله « السيرة النبوية » في مجلد ، وتصانيفه كثيرة .

قال أبو مروان بن حيان : كان ابن حزم حامل فنون ، من حديث ، وفقه ، وجـــدل ، ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة ، من المنطق ، والفلسفة ، وله كتب كثيرة ، لم يخل فيها من غلط ، لجراءته في التسور على الفنون ، لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض ، ومال أولاً في النظر الى الشافعي ، وناضل عنه ، حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل عن ذلك إلى الظاهر ، فنقحه وجادل عنه ، ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولابتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، وينشقه انشقاق الخردل ، فتنفر عنـــه القلوب ، وتقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالؤوا عليه ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو منـــه ، فطفق الملوك يقصدونه ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره ، وهي بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ، ولاراجع ، الى آخر كلام لأبي حيان ، تركته اختصاراً . انتهى . توفي ٤٥٦ سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقوله في القرآن قول مهجور ، لا نعـــلم قائلاً به ، وهو من جمله مجازفته وتهوره ، رحمه الله ، ولكن الناظم ، لما ذكر جميع ما قاله الناس في القرآن العظيم ، ذكر هذا القول ، لأنه من جملة الأقوال التي قيلت ، والا فشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قد ذكر في المسألة المصرية أقوال الناس في القرآن ، فبلغت

سبعة أقوال ، أو ثمانية ، ولم يذكر قـــول ابن حزم هذا ، وحيث ذكره الناظم ، فلا بد من بيان معناه . فقوله : بل أربع كل يسمى بالقرآن ، هذا الذي يتلى ، والثـاني : المـكتوب في المصاحف ، والثالث : المحفوظ في الصدور ، والمراد بالرسم : الخط . وقوله : هذه الثلاث خليقـــة الرحمن ، وهذا القول من أبطل الأقوال التي قيلت في القرآن ، ولذلك قال الناظم : وذاك قول بين البطلان .

قوله : والرابع المعنى القديم الخ . كأنه والله أعـــلم وافق الاشاعرة والكلابية في إثبات المعنى النفسي ، وقد تقـدم القول في المعنى النفسي بما أغنى عن الإعادة .

وقول الناظم : وأظنه قد رام شيئاً لم يجد ، إلى قوله : ان المعيّن ذو مراتب أربـع الخ .. أي : أن المعين كزيد مثلاً له أربـع وجودات : وجـــود خارجي ، ووجود ذهني ، ووجود لفظي ، أي : في اللفظ ، اذا تلفظت بلفظ زيد ، ووجود رسمي ، أي : خطي ، فهذه الوجودات الأربعة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق. إقرأ وربك الاكرم .الذي عـلم بالقلم) القـلم : ١ — ٤ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الخارجي الذي هو خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، فمذهب ابن حزم أن القرآن في المراتب الثلاثة مخلوق ، وهي وجوده العيني ، واللفظي ، والرسمي ، ولكن الاولى بالتسمية بالقرآن ـ وهو وجوده العيني ـ بقي عنده المعنى القديم ، فهو غير مخلوق ، كالعلم .

وقول الناظم : بخلاف قول ابن الخطيب الخ . أي : أن قول ابن

الخطيب ، أي الفخر الرازي ، قال : ان الكلام موضوع لما في الذهن . وهو المعنى النفسي على ما هو معروف من مذهب الاشاعرة ، وإنه معنى واحد ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والله أخبر أنه سبحانه متكلم بالوحي والفرقان
وكذاك أخبرنا بأن كلامه بصدور أهل العلم والايمان
وكذاك أخبر أنه المكتوب في صحف مطهرة من الرحمن (١)
وكذاك أخبر أنه المتلو والـ ـمقروء عند تلاوة الانسان
والكل شيء واحد لا أنه هو أربع وثلاثة واثنان
وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ ـمحفوظ قول الواحد المنان
والعبد يقرؤه بصوت طيب وبضده فهما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد وبضده فهما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداتنا والرق ثم كتابة القرآن
ولقد أتى في نظمه من قال قو ل الحق فيه وهو غير جبان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان

---

(١) في الاصل : الشيطان ، وعلى هامش الاصل : نسخة : الرحمن .

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه المتلو مخلوقاً هما شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الاذهان والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن في تعريفها بالـلام قد يعنى بها شيئان

يعنى بها المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الاكوان

ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان

هذا الذي نصت عليه أئمة الـ إسلام اهل العلم والعرفان

وهو الذي قصد البخاري الرضى لكن تقاصر قاصر الاذهان

عن فهمه كتقاصر الافهام عن قول الإمام الاعظم الشيباني

في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان

فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا كتلفظ بتلاوة القرآن

وكذاك يصلح نفس ملفوظ به وهو القران فذان محتملان

فلذاك أنكر أحمد الاطلاق في نفي وإثبات بلا فرقان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان القراءة ، والمقروء ، والتلاوه . والمتلو ، والكتابة ، والمكتوب ، والمحفوظ ، واللفظ ، والملفوظ ،

وأطنب في ذلك لكثرة ماوقع في ذلك من التخبيط والتخليط، فقال[1]: والله أخبر أنه سبحانه متكلم الخ . كما قال تعالى (حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتو العلم) العنكبوت : ٤٩ وقال تعالى (في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة) عبس : ١٣، ١٤ وقال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة : ١٨ ثم قال : والكل شيء واحد ، لأنه هو أربع ، وثلاثة ، واثنان ، ثم قال :

وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فهي خط بنان

قال شيخ الاسلام بعد كلام سبق: وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك، أي: في مسألة اللفظ في القرآن، فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي ، وطوائف غير هؤلاء ، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك ، أو يقف فيه ، ففهم ذلك بعض الأئمة ، فصار يقول : أفعال العباد (و) أصواتهم مخلوقه ، رداً لهؤلاء ، كما فعل البخاري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة ، وأهواء للنفوس ، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ماهو معروف ، وصار قوم مع البخاري ، كمسلم بن الحجاج ونحوه . وقوم عليه ، كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، ونحوهما ، وكلا هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث ، وهم من أصحاب أحمد بن حنبل ، ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم ، إلا في مسألة اللفظ ، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، وليس

---

(١) أي الناظم .

مرادهم بالتلاوة المصدر ، فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهـــل العلم والسنة ، قصدوا بذلك أن التلاوة هي القول ، والكلام المقترن بالحركه وهي الكلام المتلو . وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء . والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث ، أرادو بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله ، ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البخاري ، وهو مقصود صحيح . انتهى كلامه ملخصاً من كتاب «العقل والنقل».

وقال الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» : قال عبد الرحمن بن محمد الحافظ : حدثنا عبدالله بن محمد بن الفضل الصيداوي ، سمعت اسحق بن داود الشعراني يذكر أنه عرض على محمد بن أسلم الطوسي كلام بعض من تكلم في القرآن ، فقال محمد : القرآن كلام الله غير مخلوق أين ماتلي وحيث ماكتب ، لايتغير ولا يتحول ولا يتبدل .

قال الذهبي : صدق والله ، فانك تنقل من المصحف مائـة مصحف ، وذاك الأول لايتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في نفسك باق بهيئته لايفصل عنك ولا يتغير ، وذلك لأن المكتوب واحد ، والكتابة تعددت ، والذي في صدرك واحد ، ومـا في صدور المقرئين ، هو عين ما في صدرك سواء ، والمتلو وان تعدد التالون به ، واحد ، مع كونه سور وآيات ، وأجزاء متعددة ، وهو كلام الله ووحيه ، وتنزيله وإنشاؤه ، ليس هو بكلامنا أصلاً . نعم وتكلمنا به وتلاوتنا له ونطقنا به من أفعالنـــا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا . قال الله عز وجل (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنـا ، كلام الله ، ليس بمخلوق ، وهذا إنما يحصله الذهن . وأما في الخارج ، فلا يتأتى وجود القرآن إلا من تال وفي مصحف ، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من

رب العالمين ، فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين ، ولهذا يقول الامام أحمد : من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن ، فهو جهمي ، فتأمل هذا ، فالمسألة صعبة ، وما فصلته فيها ـ وإن كان حقاً ـ فأحمد رحمه الله تعالى وعلماء السلف ، لم يأذنوا في التعبير عن ذلك ، وفروا عن الجهمية ومن الكلام بكل ممكن ، حتى إن حرب بن اسماعيل قال : سمعت ابن راهويه وسئل عن الرجل يقول : القرآن ليس بمخلوق ، وقراءتي إياه مخلوقة ، لأني أحكيه ، فقال : هذا بدعة لا يقار على هذا حتى يدع قوله .

قلت : أظن اسحق نفر من قوله : لأني أحكيه ، بحيث أن الحافظ الثبت عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال : سألت أبي في رجل قال : التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ، قال : هذا كلام الجهمية . قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) التوبة : ٦ وقال النبي ﷺ : «حتى أبلغ كلام ربي »[1] وقال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النـــاس »[2]

---

(١) الذي في « سنن أبي داود » « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي ، فان قريشاً قد منعوني ان ابلغ كلام ربي » كان يقول ذلك عندما يعرض نفسه على الناس في المواسم .

(٢) والحديث بتمامه : عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه : ما شأنكم تنظرون الي ـ قـــال ـ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي وأمي ، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ، وقراءة القرآن » . رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . وابو داود ، وقال : « لا يحل » مكان « لا يصلح » .

وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، او يقال : مخلوق، أوغير مخلوق

قلت : فعل الامام أحمد رضي الله عنه هذا حسما للمادة ، والا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا . انتهى كلام الذهبي . وقول الناظم : وهو الذي قصد البخاري الرضى الى آخره . يعني ان الامام أحمد قال فيما نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

قال الناظم في كتاب « الصواعق المرسلة »[1] فان قيل : فاذا كان الأمر كما قررتم ، فكيف أنكر الامام احمد على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وبدعة ، ونسبه الى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري الا على ذلك ، حتى هجره أهل الحديث ، ونسبوه الى القول بخلق القرآن . قيل : معاذ الله أن يظن بأئمة الاسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد » وفي آخر « الجامع »[2] بأن القرآن كلام الله غير مخلوق . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.. الى أن قال : فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه ، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله ، فان الامام احمد سد الذريعة ، حيث منع اطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ ، وهذا المنع في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة ، وتحقيقه لهذا الباب ، فانه امتحن بما لم يمتحن به غيره ، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ الى يوم القيامة ، والذي قصده حمد ن اللفظ يراد به أمران : أحدهما :

---

(١) على الجهمية والمعطلة .

(٢) ي « الجامع الصحيح » وهو المعروف بـ « صحيح البخاري » .

الملفوظ نفسه ، وهو غير مقدور للعبد ، ولا فعل له . والثاني : التلفظ به ، والادالة ، وفعل العبد ، فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الاول ، وهو خطأ ، واطلاق نفي الخلق عليه ، قد يوهم المعنى الثاني ، وهو خطأ ، فمنع الاطلاقين . وأبو عبد الله البخاري ، ميز ، وفصل ، وأشبع الكلام في ذلك ، وفرق بين ماقام بالرب ، وبين ما قام بالعبد ، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد ، وأصواتهم ، وحركاتهم ، وأكسابهم ، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى ، وسمعه محمد ﷺ من جبريل ، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب « خلق أفعال العباد » وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ، ويوضح الحق ، ويبين محله من الامامة والدين ، ورد على الطائفتين أحسن الرد. وقال أبو عبد الله البخاري: فأما ما احتج به الفريقان لمذهب احمد ، ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت كثير من اخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن احمد وأهل العلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق ، وما سواه فهو مخلوق ، وانهم كرهوا البحث والتفتيش عن الاشياء الغامضة . و(كان) يجتنب أهل الكلام ، والخوض ، والتنازع الا فيما جاء به العلم ، وبينه النبي ﷺ ، والفريقان اللذين عناهما البخاري ، وتصدى للرد عليهما وابطال قولهما ، ثم أخبر البخاري أن كل واحدة من الطائفتين الزائغتين تحتج بأحمد ، وتزعم ان قولها قوله ، وهو كما قال رحمه الله ، فان اولئك اللفظية يزعمون أنه كان يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وأنه على ذلك استقر أمره ، وهذا قول من يقول : التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، والكتابة هي المكتوب ، والطائفة الثانية الذين يقولون : التلاوة والقراءة مخلوقة ، ويقولون : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، ومرادهم بالتلاوة والقراءة نفس ألفاظ القرآن العربي الذي

سمع من رسول الله ﷺ ، والمتلو والمقروء عندهم هو المعنى القائم بالنفس، وهو غير مخلوق ، وهو اسم للقرآن ، فاذا قالوا: القرآن غير مخلوق ، أرادوا به ذلك المعنى ، وهو المتلو والمقروء . وأما المقروء والمسموع المثبت في المصاحف ، فهو عبارة عنه ، وهو مخلوق ، وهؤلاء يقولون : التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، والكتابة غير المكتوب ، وهي مخلوقة ، والمتلو المقروء غير مخلوق ، وهو غير مسموع ، فانه ليس بحروف ولا أصوات ، والفريقان مع كل منهما حق وباطل .

فنقول وبالله التوفيق . اما الفريق الاول ، فأصابوا في قولهم : إن الله تعالى تكلم بهذا القرآن، على الحقيقة حروفه ومعانيه ، تكلم به بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته ، وليس هذا القرآن العربي مخلوقاً من جملة المخلوقات ، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا الصوت المسموع من القارىء هو الصوت القائم بذات الرب تعالى ، وانه غير مخلوق ، وان تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة ، فهذا غلو في الاثبات يجمع بين الحق والباطل . وأما الفريق الثاني ، فأصابوا في قولهم : إن أصوات العباد، وتلاوتهم ، وقراءتهم ، وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن، و كتابتهم له ، مخلوق، وأخطؤوا في قولهم : إن هذا القرآن العربي الذي بلغه رسول الله ﷺ عن الله ، مخلوق ، ولم يتكلم به الرب ، ولا سمع منه ، وإن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه ، ليس بحروف ، ولا سور ، ولا آيات ، ولا له بعض ، ولا كل ، وليس بعربي ، ولا عبراني ، بل هذه عبارات مخلوقة تدل على هذا المعنى ، والحرب واقع بين هذين الفريقين من بعد موت الامام أحمد الى الآن ، فانه لما مات الامام احمد قال طائفة ممن ينسب اليه ، منهم محمد بن داود المصيصي وغيره : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، وحكوا